

الحرب الدبلوماسية أثناء الثورة المسلحة

أ.د. رابح لونيسي *

تمهيد

يقول الجنرال الألماني كلاوزفيتز في كتابه "في الحرب" بأن "الحرب المسلحة تندلع بعد أن نصل إلى مأزق في تحقيق الهدف السياسي" أي الفشل في تحقيق الهدف سياسيا، ولهذا فالثورة الجزائرية كان هدفها سياسيا، وهو استرجاع الاستقلال الوطني وطرد المستعمر، ولم تكن الحرب المسلحة إلا إحدى الوسائل لدعم العمل الدبلوماسي الذي يعد أحد العوامل الرئيسية في تحقيق هذا الهدف من خلال إقناع العالم بعدالة القضية الجزائرية وإدارة المفاوضات وغيرها من الأهداف التي سنتناولها في هذه المقالة، بالإضافة إلى الحديث عن أدوات ووسائل وأساليب وأسس الدبلوماسية الجزائرية في مواجهتها للدبلوماسية الفرنسية أثناء الثورة مع التركيز على أبرز مظاهر الحرب الدبلوماسية بين الطرفين.

أولا-الأهداف الدبلوماسية الجزائرية

يمكن أن نلخص هذه الأهداف في:

- 1-إقناع العالم بعدالة القضية الجزائرية وكسب التعاطف معها.
- 2-اكتساب الاعتراف العالمي بجمهورية التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري ثم الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بصفقتها الكيان الممثل للأمة الجزائرية.
- 3-تحقيق الدعم اللوجستيكي للثورة الجزائرية.

ثانيا-أسس ومبادئ الدبلوماسية الجزائرية

* جامعة وهران -قسم التاريخ-

بنيت أسس ومبادئ الدبلوماسية الجزائرية أثناء الثورة المسلحة سواء في اكتساب الدعم أو

الاعتراف الدولي أو أثناء المفاوضات مع الخصم الاستعماري على:

1- وضع خطوط حمراء أو ما يمكن تسميتها بالأهداف الإستراتيجية التي لا يمكن التنازل عنها مهما كان الوضع، وهي أنه لا يمكن وقف إطلاق النار إلا بعد الإعراف الفرنسي بالسيادة الجزائرية على كل ترابها الوطني دون أي نقصان، والإعراف بوحدة الأمة والشعب الجزائري، بالإضافة إلى الإعراف الفرنسي والدولي بأن جبهة التحرير الوطني هو الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.

2- الحياد الإيجابي: فقد رفضت الثورة الجزائرية أن تنحاز إلى أي طرف من أطراف الصراع أثناء الحرب الباردة، والمتمثلة في المعسكر الشرقي الشيوعي بقيادة الإتحاد السوفياتي والمعسكر الغربي الراسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تكتف بذلك بل رفضت إتخاذ أي موقف من الصراعات الداخلية للبلدان المؤيدة للثورة الجزائرية أو الموجودة بين بعض البلدان مثل بعض الأفطار العربية التي كانت في صراع بعضها ضد بعض آنذاك.

ثالثا- وسائل الدبلوماسية الجزائرية

تتمثل هذه الوسائل في :

1- الوفد الخارجي في بداية الثورة المتكون من كل من أحمد بن بلة التي تتلخص مهمته في تحقيق الدعم اللوجستيكي للثورة، وعلى رأسها السلاح، وكلف بهذا الدور أحمد بن بلة بفعل صفات الشجاعة والإقدام التي يتميز بها، وكلف محمد خيدر بمهمة تنظيم الجزائريين في الخارج وإقامة ممثلات لجبهة التحرير الوطني في هذه البلدان بواسطة هؤلاء المهاجرين أو مبعوثين من الجزائر، أما حسين آيت أحمد فكان بمثابة وزير خارجية مكلف بالعلاقات الخارجية للثورة ودبلوماسيتها بفعل إتقانه بعض اللغات العالمية آنذاك، ومنها الإنجليزية، بالإضافة إلى أنه كان الأكثر ثقافة وإطلاعا ضمن الوفد الخارجي.

3- ممثلات جبهة التحرير الوطني في بلدان العالم، والتي تتكون من فرد أو عدة أفراد، وتتلخص مهمتها في ربط إتصالات مع قيادات تلك البلدان ومختلف تنظيماها لكي تساهم بدورها في كسب التأييد للشعب

الجزائري، وهي تشبه السفارات والقنصليات في العلاقات الدولية، كما كان لها تمثيل في هيئة الأمم المتحدة، ففي البداية كان يقوم بهذه المهمة حسين آيت أحمد ثم تولاهما محمد يزيد، لكن عندما عين هذا الأخير في منصب وزير الإعلام في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عوضه شاندري¹.

2- وزارة الخارجية التي تشكلت بعد إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 برئاسة فرحات عباس، وقد تولاهما في البداية محمد أمين دباغين قبل أن تؤول إلى كريم بلقاسم الذي يساعده فيها سعد دحلب في الحكومة المؤقتة الثالثة التي تشكلت في صيف 1961 برئاسة بن يوسف بن خدة، ويعد كريم بلقاسم التاريخي الوحيد المتبقي في الميدان من ضمن التاريخيين التسع الذين أشعلوا فتيل الثورة، وهو الذي قاد مفاوضات إيفيان التي أنهت باتفاقيات 18 مارس 1962، ووقع هو عليها، وكانت لوزارة الخارجية مستشارين ومصالح عديدة مكلفة بمتابعة العمل الدبلوماسي في كل أنحاء العالم.

3- مختلف التنظيمات التابعة لجهة التحرير الوطني، والتي كانت مساعدة للعمل الدبلوماسي، ومنها الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وكذلك الإتحاد العام للعمال الجزائريين والإتحاد العام للنساء الجزائريين، وقد ربطت هذه التنظيمات علاقات وطيدة مع تنظيمات أخرى في مختلف البلدان بما فيها فرنسا، ثم إستخدام هذه العلاقات للضغط على سلطات هذه البلدان للإعتراف بجهة التحرير الوطني ومساعدة الثورة الجزائرية، وأخذت بعين الاعتبار أن هذه التنظيمات، خاصة الطلابية منها آنذاك كانت تشكل جماعات ضغط ولوبيات داخل بلدانها، فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد لعبت بعض التنظيمات الطلابية في فرنسا دورا لا يستهان به في الضغط على الحكومة الفرنسية بقبول التفاوض مع جبهة التحرير الوطني².

رابعاً- بعض مظاهر الحرب الدبلوماسية

تمثلت مظاهر الحرب الدبلوماسية بين جبهة التحرير الوطني والإستعمار الفرنسي من خلال محاولات الجبهة إكتساب الإعتراف الدولي بما وبعدالة القضية الجزائرية، فقد تمكنت جبهة التحرير الوطني من المشاركة في المؤتمر الآفرو-آسيوي في باندونغ عام 1955، وقد مثلها كل من حسين آيت أحمد ومحمد يزيد، وأكتسبت إنتصارا دبلوماسيا كبيرا بإعتراف المؤتمر بعدالة القضية الجزائرية وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ويعد ذلك أول إنتصار كبير للدبلوماسية الجزائرية³.

كما تظهر هذه الحرب الدبلوماسية بشكل جلي في محاولات الجبهة تسجيل هذه القضية في مختلف الجمعيات العامة للأمم المتحدة، لكن دائما لتحقيق هذا الهدف الدبلوماسي يجب السند من الداخل، وهو ما يتجلى من خلال هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955، وكذلك من خلال إضراب الثمانية أيام في نهاية جانفي وبداية فيفري من عام 1957 ثم مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي لعبت دورا حاسما في الاعتراف بأحقية الشعب الجزائري في تقرير مصيره⁴.

كما تمظهرت أيضا هذه الحرب الدبلوماسية في سعي الجبهة لتحقيق الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تكونت في 19 سبتمبر 1958، وباعتبارها الكيان الجسد للأمة الجزائرية، وقد تحقق الاعتراف بها من عدة دول في العالم، لكن كانت فرنسا تهدد بقطع علاقاتها مع كل دولة تعترف بهذه الحكومة.

وتجلت أيضا هذه الحرب في زيارات قيادات الثورة إلى بعض البلدان الكبرى، ومنها زيارة أعضاء من الحكومة المؤقتة بقيادة فرحات عباس وضم الوفد كريم بلقاسم وبن طوبال إلى الصين الشعبية مثلا، وما أنجر عن ذلك من إستقبال شعبي كبير لاقاه الوفد الجزائري بالإضافة إلى ما حققته الزيارة من دعم بالمال والسلاح، مما دفع كريم بلقاسم في إجتماع لجامعة الدول العربية إلى القول بأن الثورة الجزائرية حققت دعما من الصين في المجال المالي خاصة وفي يوم واحد ما لم تحققه مع هذه الدول الشقيقة في ظرف سنوات، وهي محاولة ضغط منه لدفع هذه الدول إلى تقديم دعم مالي أكبر للثورة الجزائرية⁵.

كما تجلت هذه الدبلوماسية بشكل جلي أثناء مختلف المفاوضات مع السلطات الفرنسية، والتي انتهت بالتوقيع على إتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962، فكيف سارت هذه الدبلوماسية؟

خامسا-دبلوماسية المفاوضات

تعود الإتصالات الأولى بالجزائريين من طرف فرنسا إلى بدايات الثورة ذاتها، وذلك من خلال محاولات السلطات الإستعمارية خلق قوة ثالثة من مختلف التيارات والأحزاب السياسية التي كانت موجودة

في الساحة الجزائرية لعزل جبهة وجيش التحرير الوطنيين، التي تعتبرهم قطاع طرق ومتطرفين، لكن فشلت هذه المحاولات عندما تمكن عبان رمضان من إقناع أغلب هذه التيارات بالالتحاق بالثورة، ومنهم المركزيين وجماعة فرحات عباس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيوعيين وآخرين، بل حتى الأعضاء الجزائريين في المجلس الجزائري، أو ما يسمى بمجموعة 61، وهو ما أدى إلى توسيع جبهة الثورة بشكل كبير جدا، وقطعت الطريق على فرنسا للعب بوتر ضرب هذا بذاك أو خلق قوة ثالثة.

وبعد هذا الفشل الفرنسي الذريع، اضطرت الحكومة الفرنسية إلى الإتصال بجبهة التحرير الوطني لكن سرايا، وكانت لقاءات القاهرة وروما وبلغراد وغيرها في عام 1956، وكانت فرنسا تصر على وقف لإطلاق النار قبل إجراء إنتخابات ثم التفاوض، لكن رفضت الجبهة ذلك لأنه يعرض المبدأ الأساسي في الدبلوماسية الجزائرية وهو لا وقف لإطلاق النار إلا بعد الإعتراف الفرنسي بالسيادة الجزائرية على كل ترابها الوطني.⁶

وتوقفت هذه الإتصالات بعد إختطاف طائرة الزعماء الأربعة، وبعد مجيء شارل دوغول إلى السلطة بعد إنقلاب عسكري في الجزائر في 13 ماي 1958، وضع إستراتيجية جهنمية للقضاء على الثورة الجزائرية ثم بعدها يعرض مقترحات بهدف إنهاء القضية دبلوماسيا وسياسيا بعد ما مهد لها بإضعاف الثورة خاصة عسكريا في الداخل بواسطة خطة شال الجهنمية التي تقتضي بتمشيط الأرض الجزائرية عسكريا شبرا شبرا، لكن تبخر مشروع دوغول بعد مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي أثبتت له بأن الشعب الجزائري وراء جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقت للجمهورية الجزائرية، وبأنه مصر على إسترجاع إستقلاله، وهو ما دفع دوغول إلى إعادة الإتصال بقيادة الثورة للتفاوض، فكانت عدة لقاءات ومقترحات فرنسية تستهدف تحقيق مصالحها في الجزائر، ويمكن أن نضع الطروحات الفرنسية وطروحات جبهة التحرير الوطني كما يلي⁷:

1- إصرار فرنسا بأن الجزائر ليست أمة بل هي مجموعة أعراق وقبائل لكن أصرت جبهة التحرير على أن الجزائر أمة وشعب واحد له الحق في إقامة دولة-الأمة الجزائرية.

2- إيقاف إطلاق النار قبل أي مفاوضات ورفض جبهة التحرير ذلك وإصرارها على أن لا يتم ذلك إلا بعد الإعتراف الرسمي الفرنسي بالسيادة الجزائرية على كامل ترابها الوطني.

3- الطرح الفرنسي بأن جبهة التحرير الوطني ليست الممثل الوحيد للشعب الجزائري وطرحها فكرة المائدة المستديرة تشارك فيها عدة أطراف جزائرية أخرى، لكن رفضت الثورة ذلك كي لا تعطي فرصة لفرنسا للتلاعب وممارسة سياسة فرق تسد.

4- الطرح الفرنسي لقضية الصحراء الجزائرية والسعي لفصلها عن الجزائر، لكن أصرت جبهة التحرير على مبدأ الوحدة الترابية للجزائر، وقد حاولت فرنسا في هذا المجال إقناع بعض البلدان الحدودية بأحقية إشراكها في المفاوضات بإعتبار أن الصحراء الجزائرية تشبه البحر، ومن حق الدول المحيطة به أن تكون لها حق فيها، وطرح فكرة جديدة هي الفضاء الدولي المقابل لفكرة المياه الدولية بالنسبة للبحار والمحيطات.

وقد تماطلت المفاوضات بسبب هذه الإختلافات، وقد تمسكت قيادة الثورة بمختلف المبادئ التي تعد خطوط حمراء في دبلوماسيتها لا يجوز تجاوزها، كما استخدمت عدة وسائل للضغط على فرنسا للتنازل عن طروحاتها بتكثيف العمل المسلح والضغط الدولية على فرنسا وإقناع الدول المجاورة للصحراء الجزائرية بخطورة المناورات الفرنسية وكذلك إستخدام المظاهرات خاصة في الصحراء الجزائرية.

لكن تمكنت جبهة التحرير الوطني من فرض طروحاتها الأربعة الإستراتيجية ولم تتنازل قيد أنملة عنها، لكن قامت بتنازلات تكتيكية لا تمس بالأهداف الإستراتيجية، وهو ما تجلّى في بعض مواد إتفاقيات إيفيان مثل حماية مصالح المعمرين وبعض المصالح الإقتصادية والثقافية الفرنسية في الجزائر، لكن تحققت الأهداف الإستراتيجية المتمثلة في الإعتراف الفرنسي بحق الأمة الجزائرية الموحدة في إقامة دولتها المستقلة وبالسيادة الجزائرية التامة على كل ترابها الوطني كما نص على ذلك بيان أول نوفمبر 1954 وميثاق الصومام، وهو درس دبلوماسي بعدم تجاوز الخطوط الحمراء أو التنازل عن الأهداف الإستراتيجية مهما كان الثمن في أي مفاوضات كانت.

الهوامش:

¹ - Khalfa Maameri, Les nations unies face à la question algerienne 1954-1962, ed S.N.E.D. Alger 1970

² - Guy Pervillé, Les étudiants algeriens en france 1880-1962, ed Casbah Alger 1995.

³ - Conte Arthur, Bandoeng-tournant de l'histoire-, ed Laffont Paris 1965.

⁴ - Maameri, Op-Cit

⁵ -Amar Hamdani, Krim Belkacem-Le lion de Djebel-, ed Dahlab Alger1990

⁶ -Redha Malek, L'Algerie à Evian-histoire des négociations secrètes1956-1962, ed Dahlab1995.

⁷ - Ibid